

سوء العاقبة بما قدمت اليدان

علينا أن نسعى جهدنا لكي نثبت على الإيمان ولا يكون إيماننا وقتياً مُعاراً فعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : «فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مُستقراً في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم، فإذا كانت لكم براءة من أحد فقفوه حتى يحضره الموت، فعند ذلك يقع حدّ البراءة»^(٥).

وللثبات على الإيمان وحسن العاقبة أسباب، منها:

١- **اليقين:** فعلى الإنسان المؤمن أن يترقى في إيمانه ولا يقنع بالدرجات الدنيا منه، إلى أن يصل إلى اليقين الذي لا شك فيه.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام - كان يقول - : «واسألوا الله اليقين، وارغبوا إليه في العاقبة، وخير ما دار في القلب اليقين»^(٦).

٢- **التقوى:** فملازمة طاعة الله والبُعد عن معصيته، من الأمور المهمة للثبات والخاتمة الحسنة. يقول تعالى: «وَمَنْ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السَّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ»^(٧) «وَأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى»^(٨). «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين»^(٩).

فلا يكون مؤمناً في الفقر عاصياً في الغنى أو العكس، ولا يكون قريباً إلى الله في حالة المرض وبعيداً عنه في حالة الصحة أو العكس، بل عليه أن يكون ثابتاً على الإيمان والطاعة في كل الحالات- السلبية والإيجابية- إلى أن يسلم روحه لله طاهرة فتكون عاقبته حسنة فيختم له بخير. ومن هنا عليه أن يخشى من عاقبته، كما ورد في الروايات، عن رسول الله ﷺ : «لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت»^(١).

فملاك العمل بخواتيمه، عن رسول الله ﷺ : «إن العبد ليعمل عمل أهل الجنة فيما يرى الناس وأنه لمن أهل النار، وأنه ليعمل عمل أهل النار فيما يرى الناس وأنه لمن أهل الجنة، وإنما الأعمال بالخواتيم»^(٢).

وعن المسيح عليه السلام : إن الناس يقولون: «إن البناء بأساسه وأنا لا أقول لكم كذلك، قالوا: فماذا تقول يا روح الله؟ قال: بحق أقول لكم: إن آخر حجر يضعه العامل هو الأساس»^(٣).

وعن الامام علي عليه السلام : «إن حقيقة السعادة أن يختم للمرء عمله بالسعادة، وإن حقيقة الشقاء أن يختم للمرء عمله بالشقاء»^(٤).

من أسباب حسن العاقبة

محاور الموضوع الرئيسية:

١. المؤمن في الدنيا محل اختبار الله فلا بدّ من الثبات
٢. من أسباب حسن العاقبة

الهدف:

التحذير من سوء العاقبة والإلفات إلى بعض أسباب حسن العاقبة
تصدير الموضوع:

عن رسول الله ﷺ : «لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت»

بحار الانوار

الاختبار والثبات

يقول تعالى: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم * فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين».

تشير الآية الكريمة إلى حقيقة وسنة إلهية جارية على الناس في حياتهم الدنيوية، وهي سنة الاختبار والامتحان.

وهذا يعني أن الإنسان معرّض للاختبار طول حياته إلى ساعة موته، فهو لا يعيش في الحياة على وتيرة واحدة، فحالاته مختلفة من الفقر إلى الغنى ومن الصحة إلى المرض ومن الحرب إلى السلام ومن الغضب إلى السكينة إلى غير ذلك من الأوضاع التي ينبغي على الإنسان أن يثبت على إيمانه فيها.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٩.

(٦) البحار: ٦٩ / ٣٩٨ / ٨٨.

(٧) (الروم)

(٨) (طه: ١٣٢)

(٩) (القصص: ٨٣)

(١) البحار: ٧١ / ٣٦٦ / ١٣.

(٢) كنز العمال: ٥٩٠.

(٣) معاني الأخبار: ٣٤٨ / ١.

(٤) معاني الأخبار: ٣٤٥ / ١.

إليه يصعد الكلم الطيب

فأولياء الله لم يملكوا اليقين والثبات في ليلة وضحاها بل كان لهذا الثبات مقدمات ومجاهدات ورياضات روحية ومراقبات وعبادات.

قال العالم الجليل المازندراني رحمته الله: «فلا بد للعبد من مراعاة قلبه فإن رآه مقبلاً إليه عز وجل شكر وبذل جهده ويطلب منه الزيادة لئلا يستدبر: ﴿رَبَّنَا لَا تُغِخْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، وإن رآه مدبراً زائفاً عن الحق تاب واستدرك ما فرط فإن لم يفعل ربما سلط الله عليه العدو ورفع عنه التوفيق وهو يموت مدبراً مسلوب الإيمان كما قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ نعوذ بالله من الإزاغة» ^(١٠)

١٠- لا تعجب بنفسك: لا تعجب بنفسك بل اشكر فضل الله وتوفيقه. أن وفقك للإيمان والعمل الصالح. عن الإمام علي عليه السلام - لما نظر إلى رجل أثر الخوف عليه -: ما بالك؟ قال: إني أخاف الله، فقال: «يا عبد الله خف ذنوبك، وخف عدل الله عليك في مظالم عباده، وأطعه فيما كلفك، ولا تعصه فيما يصلحك، ثم لا تخف الله بعد ذلك فإنه لا يظلم أحداً، ولا يعذبك فوق استحقاقه أبداً، إلا أن تخاف سوء العاقبة بأن تغير أو تبدل، فإن أردت أن يؤمنك الله سوء العاقبة فاعلم أن ما تأتيه من خير فبفضل الله وتوفيقه، وما تأتيه من سوء فبإمهال الله وانظاره إياك وحلمه وعفوه عنك» ^(١١)

عند المقدرة، واحلم عند الغضب، واصفح مع الدولة، تكن لك العاقبة» ^(١)

٦- عدم حب الدنيا: الإمام علي عليه السلام: «من عبد الدنيا وأثرها على الآخرة استوخم العاقبة» ^(٧)

٧- قضاء حوائج المؤمنين: عن الإمام الصادق عليه السلام - إلى بعض الناس -: «إن أردت أن يُختم بخير عملك حتى تقبض وأنت في أفضل الأعمال فعظم لله حقه، أن تبدل نعماءه في معاصيه، وأن تغتر بحلمه عنك، وأكرم كل من وجدته يذكر منا أو ينتحل مودتنا» ^(٨)

- وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «إن خواتيم أعمالكم قضاء حوائج إخوانكم والإحسان إليهم ما قدرتم، وإلا لم يقبل منكم عمل، حنوا على إخوانكم، وارحموهم تلحقوا بنا» ^(٩)

٨- العقل: عن الإمام الصادق عليه السلام: «من كان عاقلاً خُتم له بالجنة إن شاء الله». فعلى الإنسان المؤمن أن يرقى عقله بالتفقه في الدين...

٩- مراعاة القلوب وتفقدتها: إن الثبات عند الترهيب أو الترغيب يحتاج منا إلى المراقبة الدائمة لنفوسنا وأعمالنا، فلنراقب قلوبنا وسلوكنا ودرجة ورعنا عن محارم الله، ولنشعر أنفسنا دائماً بهذا الخطر، فما الذي يؤمننا، ومن الذي أعطانا صك البراءة؟ لنعند الامتحان يكرم المرء أو يهان!

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ ^(١)

- الإمام علي عليه السلام: «إن أتاكم الله بعافية فاقبلوا، وإن ابتليتم فاصبروا، فإن العاقبة للمتقين» ^(٢)

٣- موالاة أهل البيت وعدم تكذيبهم: يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا كميل إنّه مستقر ومستودع واحذر أن تكون من المستودعين. يا كميل إنما تستحق أن تكون مستقراً إذا لزممت الجادة الواضحة التي لا تخرجك إلى عوج ولا تزيلك عن منهج ما حملناك عليه وهديناك إليه» ^(٣)

وانظر إلى هذه الرواية كيف تبين أنّ أحدهم كان مستودعاً، فلما كذب على أهل البيت عليهم السلام بسوء اختياره سلب الإيمان، عن أبي الحسن صلوات الله عليه قال: «... وأعار قوماً إيماناً، فإن شاء تمّم لهم وإن شاء سلبهم إياه، قال: وفيهم جرت: ﴿فَنُسْتَقْرَؤُا وَمُسْتَوْدَعُونَ﴾ وقال لي: إن فلاناً كان مستودعاً إيماناً، فلما كذب علينا سلب إيمانه ذلك» ^(٤)

٤- عدم اتباع الهوى والبدع: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «المدادومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وإن قل، أَرْضَى لَهِ وَأَنْفَعُ عِنْدَهُ فِي الْعَاقِبَةِ مِنَ الْاجْتِهَادِ فِي الْبِدْعِ وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ» ^(٥)

٥- عدم الغضب: عن الإمام علي عليه السلام - من كتاب له إلى الحارث الهمداني -: «واكظم الغيظ، وتجاوز

(١) (هود: ٤٩).

(٢) (نهج البلاغة: الخطبة ٩٨).

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٧٢.

(٤) الكافي، ج ٢، ص ٤١٨.

(٥) الكافي: ٨ / ٨ / ١.

(٦) نهج البلاغة: الكتاب ٦٩.

(٧) الخصال: ٢ / ٦٢٢ / ١٠.

(٨) (عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٤ / ٨).

(٩) (البحار: ٧٥ / ٣٧٩).

(١٠) شرح أصول الكافي، المولي محمد صالح

المازندراني، ج ١، ص ١٢٧.

(١١) البحار: ٧٠ / ٣٩٢ / ٦٠.